جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مقياس تاريخ المشرق الإسلامي ق2-8هـ/8-14م

د. بلال ساحلي

البريد الالكتروني: b.sahli@univ-dbkm.dz

المحاضرة السادسة السداسي الثاني:

المرحلة الخامسة: توطيد أركان الدولة وتوحيد مصر والشام

قبل الاصطدام بالإفرنج فضَّل صلاح الدين التوجه لضم بلاد الشام من أجل توحيدها مع مصر وجعلها جبهة واحدة، خاصة بعد وفاة عموري الأول ملك بيت المقدس(ت570هـ/1174م)، فاستغرقت عملية التوحيد إحدى عشرة سنة (570-581هـ/1174-1185م)، نجح خلالها في الاستحواذ على الجزيرة الفراتية، وكذلك حاصر مدينة حلب التي استسلم صاحبها عماد الدين زنكي الثاني سنة (579هـ/1183م) فعيَّن مكانه الظاهر غازي ابن صلاح الدين، ويعني ذلك نهاية نفوذ آل زنكي في دمشق وحلب، وأما بالنسبة لمدينة الموصل فإنها استعصت رغم الحصار المضروب عليها، إلى أن اضطر صاحبها لعقد الصلح مع صلاح الدين سنة (581هـ/1185م) تبقى بموجبه الموصل بيد الزنكيين مقابل تقديمهم المساعدة لصلاح الدين والخطبة له على المنابر وضرب السكة باسمه .

المرحلة السادسة: استرداد بيت المقدس

بعد سنتين من عملية توحيد مصر والشام بدأ صلاح الدين في مشروع استرداد بيت المقدس، فاستغل صراع الصليبيين على عرش بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الخامس فاصطدم مع جيوشهم في ملحمة حطين سنة (583هـ/1187م) حيث ألحق بهم هزيمة نكراء، فكانت هذه الوقعة كما وصفها ابن الأثير: (مفتاح الفتوح

الإسلامية)، حيث أعقبتها سلسلة من الانتصارات الأيوبية في السواحل الشامية، إلا أنالصليبيين ظلوا محافظين على بعض المعاقل المحصنة مثل : طرابلس، ونطاكية، وصور.

هذه الانتصارات الأيوبية استفزت الصليبيين فجهزوا الحملة الصليبية الثانية سنة (585هـ/1189م) وهي من أضخم الحملات التي شارك فيها ملوك الغرب المسيحي، فحاصروا مدينة عكا لسنتين إلى أن سقطت سنة (587هـ/1191م)، ثم انتهت هذه الحملة بعقد صلح الرملة سنة(588هـ/1192م) ومدته ثلاث سنوات وثمانية أشهر، وبموجبه بقاء المنطقة الساحلية من يافا إلى عكا وصور وطرابلس وانطاكية بيد الصليبيين، في المقابل يحتفظ المسلمون ببيت المقدس مع السماح للفرنج بزيارته، وهو ما يعني فشل هذه الحملة لأن هدفها الأول كان انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين .

الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين:

توفي البطل صلاح الدين الأيوبي في دمشق سنة (589هـ/1193م)، وقد ترك من خلفه دولة مترامية الأطراف تمتد حدودها من: مصر، وبلاد النوبة، والسودان، وبلاد الشام، والحجاز، واليمن، وأقاليم كبيرة من الجزيرة الفراتية، وحتى أجزاء من شمال افريقيا مثل طرابلس وتونس وقابس، إلاَّ أن الذين خلفوه لم يستطيعوا ملأ الفراغ الذي تركه، إذ أنَّ أبناءه السبعة عشر وإخوانه دخلوا في سلسلة من الصراعات الداخلية والمؤامرات السياسية، بحيث طمع كل أمير أو سلطان في التوسع على حساب الآخر، واستمر الوضع على ما هو عليه إلى غاية وفاة آخر سلطان أيوبي في مصر سنة (648هـ/1250م).

قام أبناء صلاح الدين باقتسام أقاليم الدولة وفق ما جاء في وصية والدهم التي كتبها سنة (580هـ/1184م) بحيث تولى العزيز عثمان مصر، والأفضل نور الدين دمشق، والظاهر غازي حلب، أما بقية الإخوة حصلوا على اقطاعات ثانوية تابعة لهؤلاء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم، في المقابل اجتهد السلطان العادل أخ صلاح الدين في توسيع مملكته وهو ما تحقق له لما أصبح سلطانا على مصر بوفاة العزيز عثمان(596هـ/1200م) ثم تحصل على التقليد من الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة (604هـ/1208م) الذي ولاه جميع بلاد الشام ومصر .

أثناء حكمه على مصر واجه السلطان العادل الحملة الصليبية الرابعة (599هـ-601هـ/1202-1204م) التي كانت متوجهة لمصر ثن انحرفت لمحاصرة القسطنيطينية، ثم أعقبتها الحملة الصليبية الخامسة التي ظفر فيها الصليبيون بمدينة دمياط(615هـ/1219م) إلا أن السلطان الكامل محمد بن العادل نجح في تحريرها سنتين بعد ذلك .

تولى السلطان الكامل الحكم لمدة عشرين سنة (615-636هـ/1218-1238م) تخللها الصراع مع شقيقه المعظم صاحب دمشق، موكذلك حربه مع التتار، ما دفعه إلى تسليم بيت المقدس للصليبيين بموجب اتفاقية يافا (626هـ/1229م) التي عقدها مع الامبراطور فردريك، وهو ما شكل صدمة للمسلمين، ثم جاء من بعده ابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة(638هـ/1240م) الذي نجح في استرداد بيت المقدس والكثير من المدن الأخرى مثل غزة سنة(642هـ/1244م)، وهو ما كان دافعا للحملة الصليبية السابعة ضد مصر لأن الإفرنج أدركوا أن مفتاح بسط نفوذهم على بيت المقدس هو السيطرة على مصر .

أثناء توجه الحملة الصليبية نحو مصر كان الملك الصالح نجم الدين أيوب مريضاً، إلا أنه قاوم الحملة لمدة أربعة عشر شهراً، إلى غاية وفاته سنة (647هـ/1249م)، فأخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته وتولت مسؤولية التصدي للزحف الصليبي، وبالموازاة مع ذلك أرسلت على جناح السرعة لابنها توران شاه قائد حصن "كيفا"، الذي نجح وبمساعدة المماليك في الانتصار على الصليبيين وأسر قائدهم الامبراطور لويس التاسع، لكن حكم توران شاه لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما انقلب عليه المماليك وقتلوه سنة(648هـ/1250م)، ليكون بذلك آخر سلطان أيوبي بعد أن دام حكمهم واحد وثمانون سنة(567-648هـ/1171-1250م)، وليفتح المجال لدولة المماليك البحرية التي كان ينتظرها رهان آخر وهو إيقاف الزحف المغولي.